بموجب منطق اقناع الولايات المتحدة بأن مصالحها تقع في هذا الجانب أو ذاك ليس إلا ضرباً من الخيال.

متراس العالم الحر

«لست مضطراً لأن أقول لكم ان هذا ليس مجرد نزاع بين اسرائيل والعالم العربي، بل هو صراع اسرائيل الدولة الملتزمة ايديولوجيا بمجتمع الأمم الديمقراطية وبقيادة أميركا لهذا المجتمع ضد السوفيات. لقد كانت اسرائيل متراساً وستبقى كذلك بوجه التغلغل السوفياتي في الشرق الأوسط»(٢٤). هكذا يلخص موشي آرنس (وكان يومها رئيس لجنة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست) فكرة «الاجماع الاستراتيجي» التي تسعى الادارة الأميركية الى تحقيقها في المنطقة. فبعد انهيار التجربة الايرانية لم تعد فكرة «شرطي الخليج» لتقنع أحداً في أوساط صانعي القرار الأميركي سواء من حيث توافر البديل ذي الامكانات المقاربة لامكانات ايران الشاه، أو من حيث ضمان استقرار هذا البديل. بالأحرى صار أحد «هموم» الاستراتيجية الأميركية الرئيسية كيفية ضمان عدم تعرض هذا التوازن الهش الى الاختلال. وذلك هو مغزى التحول في مركز الثقل نحو الوجود العسكري المباشر من جهة، وتقوية القدرة العسكرية الاسرائيلية من جهة أخرى، وليس وضع تعارض بين الحاجة الى القدرة العسكرية الاسرائيلية من جهة، والتحالف مع العرب من جهة أخرى، بل من زاوية أن ضمان التحالف مع العرب يكمن في اسرائيل قوية ومتفوقة تعيق أي تفكير عربي بخيار عسكري ضدها، وتفرض نفسها كأمر واقع، وترغم الباحثين عن الاستقرار على التفكير بأن جزءاً من استقرارهم يرتبط بتنسيق المواقف والجهود «لمقاومة التغلغل السوفياتي». ويشير موشي آرنس الى هذه الفكرة كما يلي: «لقد جاء السادات [الى اسرائيل] لأنه أدرك ألّا خيار عسكرياً أمامه. ولكن اذا فعلنا أي شيء يمكن أن يضعف اسرائيل، فسينشأ تصور في العالم العربي بأن أمامهم خياراً عسكرياً»(٢٥).

والواقع أن التصور الاسرائيلي ينطلق، كما تدل الوقائع، من تفهم لمعنى تراكم السلاح في المنطقة العربية محل البحث ودوافعه، من دون التعاطي معه ــ برغم كل التصريحات الاعلانية ــ كاخلال بميزان القوى القائم. اذ انطلاقاً من مقارنة كمية للأسلحة والقوات المسلحة بين اسرائيل والبلدان العربية الأربعة التي يمكن أن تحاربها، تعترف اسرائيل بأن هناك تفوقاً عددياً لغير صالحها، انتقل من نسبة ١/٣ الى ١/٤(٢٦). لكنها تؤمن لنفسها تفوقاً نوعياً ساحقاً في المنطقة، يضمن لها عدم التعرض للخطر، كما تدعي وقوة رادعة على مستوى المنطقة بأسرها، الأمر الذي يجعلها حقاً «شرطي» الامبريالية الوحيد الذي يمكن الركون اليه. يلخص هذه الفكرة أريئيل شارون كما يأتي: «ان اسرائيل لن تستطيع الاستمرار طويلاً في سباق تسلح مع أعدائها العرب على أساس الكمية، اذ عليها بدلاً من ذلك العمل على ابقاء وتطوير تفوقها النوعي عليهم»(٢٧).

ويقوم هذا التفوق النوعي على عدة وسائل أبرزها، تعدد الدول التي يحتمل أن تخوض صراعاً مسلحاً ضد اسرائيل، والعمل على تحويل تجزئتها جغرافياً الى تفتت